مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

2026/4/21

حرب السرديات: دور الاستخبارات في إعادة تعريف النصر في المواجهة الأمريكية_ الإسرائيلية مع إيران

د. مهند حميد الراوي

● تحليلات

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

حرب السرديات: دور الاستخبارات في إعادة تعريف النصر في المواجهة الأمريكية_ الإسرائيلية مع إيران

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط /قسم الأبحاث / الدراسات السياسية

الاصدار / ورقة تحليلات

الموضوع / شؤون إقليمية ودولية

د. مهند حميد الراوي / دكتوراه في العلوم السياسية (الاستراتيجية)

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاص، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2026

مقدمة

في الصراعات الجيوسياسية المعاصرة، باتت حسابات كلاوزفيتز التقليدية للنصر العسكري -المعرفة بالتدمير الحاسم للقوات المسلحة للخصم- غير ذات جدوى إلى حد كبير. فمع القيود المفروضة بسبب التكاليف الباهظة للتصعيد التقليدي وتعقيدات الردع غير المتكافئ، اتجهت السياسة الحديثة بشكل متزايد نحو «المنطقة الرمادية» للحرب غير التقليدية المطوّلة. ولا يوجد مكان تتجلى فيه هذه التحولات النموذجية بوضوح أكثر من المواجهة الثلاثية بين الولايات المتحدة وإسرائيل والجمهورية الإسلامية الإيرانية. ففي هذا المسرح، لم يعد الهدف هو تحقيق نصر حاسم، بل ترسيخ الحرمان الاستراتيجي.

إن هذه الحرب قد تحولت في جوهرها إلى حرب سرديات، ولأن النصر المادي مستحيل، فإن الصراع يُحسم في المجال المعرفي بمفهومه الشامل. فالعمليات الاستخباراتية لا تهدف فقط إلى التخريب المادي، بل إلى التلاعب بإدراك الخصم للمخاطر، وبثّ الردع، والسيطرة على السردية المحلية والدولية. ففي صراعٍ تملي فيه البقاء والإنهاك وتيرة الاستراتيجية، يبرز الطرف الذي يُحكم سيطرته على السردية ويحرم الطرف الآخر من أهدافه السياسية منتصراً بحكم الأمر الواقع، إذ إنّ المعايير التقليدية للنجاح العسكري - كالاستيلاء على أراضٍ أو تدمير بنية تحتية - تُعدّ ثانويةً مقارنةً بكيفية إدراك الحرب وتبريرها وتوثيقها في التاريخ.

الاستخبارات بوصفها بنية سردية

تحولت الاستخبارات، عبر مسارها التاريخي، من وظيفة تقليدية تقتصر على دعم العمليات العسكرية وتوفير المعلومات التكتيكية، إلى فاعل معرفي مركزي يسهم في تشكيل إدراك صناع القرار، بل والتأثير في الرأي العام على المستويين المحلي والدولي. وفي هذا السياق، يبرز مفهوم «الاستخبارات كبنية سردية» بوصفه مدخلاً تحليلياً متقدماً يعيد تعريف طبيعة العمل الاستخباراتي، إذ لم يعد هذا العمل مجرد عملية تقنية لجمع البيانات وتحليلها، بل أصبح ممارسة تأويلية تقوم على بناء سرديات تفسيرية متماسكة حول الواقع المعقد.

ينطلق هذا المنظور من افتراض أن البيانات، بطبيعتها المجزأة والمتناثرة، لا تحمل معنى بذاتها، وإنما تكتسب دلالتها من خلال إدماجها ضمن أطر سردية تفسر العلاقات السببية، وتحدد الفاعلين، وتعيد ترتيب تسلسل الأحداث. وبهذا المعنى، يعمل المحلل الاستخباراتي بوصفه «منتجاً للسرد»، إذ لا يكتفي بنقل الوقائع، بل يقوم بإعادة تركيبها ضمن قصة تفسيرية تضفي عليها الاتساق والمعنى. ويتقاطع هذا الطرح مع ما تؤكده أدبيات تحليل الاستخبارات من أن التقدير الاستخباراتي هو في جوهره حكم تفسيري، وليس مجرد استنتاج ميكانيكي للحقائق.

وفي هذا الإطار، يشكل ما يُعرف بـ «الاستدلال السردي» أو «الاستنباط السردي» أحد الأدوات المركزية في العمل التحليلي، إذ يقوم المحللون بتوليد مجموعة من الفرضيات أو القصص المحتملة

لتفسير حدث معين، ثم يعملون على اختبارها ومقارنتها في ضوء الأدلة المتاحة، قبل اختيار السردية الأكثر ترجيحاً. ويتقاطع ذلك مع منهجيات تحليلية راسخة مثل «تحليل الفرضيات المتنافسة»، والذي يهدف إلى تقليل التحيزات الإدراكية عبر تقييم الأدلة مقابل عدة تفسيرات بديلة.[1]

كما يرتبط هذا الفهم السردي للاستخبارات بنقاشات أوسع في حقل نظرية المعرفة والعلوم الاجتماعية، حول «التفكير السردي» باعتباره نمطاً متميزاً من أنماط الفهم البشري، وكذلك أعمال Hayden White التي بيّنت أن السرد ليس مجرد وسيلة عرض، بل هو أداة لتشكيل المعنى ذاته. وضمن هذا الإطار، يمكن النظر إلى الاستخبارات بوصفها «نظام إنتاج معنى» يعمل على تقليل الغموض وإدارة التعقيد من خلال بناء روايات تفسيرية قابلة للتداول داخل مؤسسات الدولة.[2]

وعليه، فإن الناتج النهائي للعمل الاستخباراتي لا يتمثل في «معلومات» بالمعنى الضيق، بل في سردية تحليلية منظمة تعيد تشكيل الواقع في صورة قابلة للفهم واتخاذ القرار. غير أن هذا البعد السردي، على الرغم من ضرورته، ينطوي على مخاطر منهجية، أبرزها قابلية السرديات للانحياز والتماسك الزائف، حيث قد يميل المحللون إلى تفضيل القصة الأكثر انسجاماً على حساب التفسير الأكثر دقة. ومن هنا، تبرز أهمية اعتماد أدوات تحليلية نقدية، وتعدد السرديات،

1. Heuer, R. J. Psychology of intelligence analysis. Center for the Study of Intelligence, Central Intelligence Agency. 1999
2. White, H. The content of the form: Narrative discourse and historical representation. Johns Hopkins University Press. 1987

والانفتاح على المراجعة المستمرة، بوصفها آليات لضبط هذا البعد السردي وضمان موضوعيته النسبية.

الفجوة بين التوقعات الاستخباراتية المبكرة وواقع الدفاع المطول والمرن

وفقاً لطبيعة مسار الحملة العسكرية الأمريكية الإسرائيلية ضد إيران عام 2026، ثمة تباين صارخ بين التوقعات الاستخباراتية المتفائلة المبكرة وواقع خصم متجذر بعمق وغير متكافئ، فبينما توقعت الحسابات الاستراتيجية الأولية تدهوراً سريعاً في القدرات الإيرانية يؤدي إلى انهيار النظام، جرّ الصراع الأطراف المعنية إلى ما يسميه المحللون العسكريون «فخ التصعيد» حرب إقليمية طويلة ومعقدة ومدمرة اقتصادياً.[3]

تأثرت المراحل الأولى من الصراع والمناورات العسكرية السابقة له بشكل كبير بافتراضات ترجح كفة التفوق العسكري التقليدي، من خلال التوقعات الأولية القائمة على فكرة «قطع الرؤوس» والتحييد السريع، ومن ثم انهيار سريع للنظام. إذ تمثلت إحدى التوقعات الأساسية في أن «ضربات قطع الرؤوس» التي افترضت استهداف كبار الشخصيات السياسية والعسكرية، بمن فيهم، وفق بعض السيناريوهات التقديرية، المرشد الأعلى علي خامنئي ستؤدي إلى زعزعة السيطرة المركزية للجمهورية الإسلامية. وكان الافتراض

3. Peter Beaumont, the escalation trap: how the Iran war could become more costly and complex, Guardian (London: Guardian News & Media, 2026)

السائد هو أن إضعاف قمة القيادة سيؤدي إلى انشقاقات جماعية، وانتفاضات داخلية، وانهيار سريع للنظام الإيراني.[4]

من جهة أخرى، فإن الاستخبارات تعاملت مع فكرة الحرب المحدودة، والتي غالباً ما افترضت التوقعات إطاراً زمنياً عملياتياً محدوداً، وكان المتوقع أن تتمكن الولايات المتحدة وإسرائيل من تحديد وتيرة الصراع، وتدمير أهدافهما في غضون أسابيع، وتجنب امتداد الصراع الإقليمي الواسع أو الدخول في نزاع طويل الأمد. لكن الحقيقة هي تحول الحرب إلى ما يُعرف بـ «عقيدة الدفاع الفسيفسائي» والاستنزاف غير المتكافئ، إذ أظهرت وقائع الصراع أن الجهاز العسكري الإيراني صُمم خصيصاً ليصمد أمام استراتيجيات قطع الرأس والتفوق العسكري التقليدي، حيث أثبت تحول إيران نحو نموذج قيادة لا مركزي، والذي تشكّل بشكل كبير من خلال مراقبة السقوط السريع للأنظمة المركزية في العراق وأفغانستان في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مرونةً عالية. إذ يتم تنظيم الحرس الثوري الإسلامي وقوات الباسيج ووحدات الصواريخ المحلية على شكل طبقات شبه مستقلة، ففي حال انقطاع الاتصالات أو مقتل كبار القادة، لا تنهار سلسلة القيادة، بل تتشتت، مما يسمح للوحدات المحلية بمواصلة القتال.[5]

4. Konrad Wolfenstein, The collapse of a regional power: Israel and the US escalate in Iran – and the hardliners take over, 2026, https://xpert.digital/en/the-collapse-of-a-regional-power/#:~:-text=On%20February%2028%2C%202026%2C%20the,Supreme%20Leader%2C%20Ayatollah%20Ali%20Khamenei.
5. Sameed Basha, US war on Iran isn't likely to go as planned, south China morning post, 2026, https://www.scmp.com/

فضلاً عن جدلية انهيار وبقاء النظام، فعلى الرغم من القصف المكثف، تشير تقييمات الاستخبارات الأمريكية في أواخر آذار/مارس 2026 إلى عدم وجود أي مؤشرات على انهيار وشيك للنظام، فبدلاً من تقويض سلطة الدولة، عزز التهديد الخارجي السيطرة العسكرية المباشرة تحت قيادة الحرس الثوري الإيراني، محولاً الدولة إلى جهاز أمني ذي دوافع قوية يسعى للبقاء.[6]

أما على مستوى الرد غير المتكافئ والاقتصادي، فقد توقعت الاستخبارات أن إيران ليس لديها القدرة على الرد مقارنةً بالقدرات الأمريكية والإسرائيلية. فبدلاً من محاولة مجاراة التفوق الجوي الأمريكي-الإسرائيلي، وسّعت إيران النطاق الجغرافي للحرب لتعويض نقاط ضعفها التقليدية، إذ تبنّت طهران استراتيجية تعطيل واسعة النطاق، فأغلقت فعلياً مضيق هرمز، وشنت غارات بطائرات مسيّرة على البنية التحتية الحيوية في دول الخليج المتحالفة مع الولايات المتحدة، بما في ذلك مراكز بيانات الذكاء الاصطناعي التجارية في الإمارات والبحرين.[7]

غموض في تحييد التهديد النووي، على الرغم من تعرض البنية التحتية المادية ومنصات إطلاق الصواريخ لأضرار جسيمة وموثقة، إلا

opinion/asia-opinion/article/3345222/us-war-iran-isnt-likely-go-planned?module=perpetual_scroll_0&pgtype=article
6. Yasin Gungor, US intelligence assessments show no signs of imminent regime collapse in Iran: Report, (ISTANBUL: Anadolu Ajansı, 2026).
7. Daniel Boffey, It means missile defence on datacentres': drone strikes raise doubts over Gulf as AI superpower, Guardian (London: Guardian News & Media, 2026).

أن تحييد التهديد النووي لا يزال غامضاً، نظراً لأن المنشآت النووية الإيرانية مدفونة في أعماق الأرض ومتفرقة، ولأن المعرفة العلمية لا يمكن محوها بالغارات الجوية. فقد واجه مسؤولو الاستخبارات صعوبة في التحقق مما إذا كان البرنامج قد تم تفكيكه نهائياً أم أنه مجرد تأجيل.

كل ذلك أدى إلى ما يُعرف بـ»فخ التصعيد»، حيث أدت هذه الفجوة بين التوقعات الاستخباراتية والواقع إلى مفارقة استراتيجية. فمن الناحية التكتيكية، ألحقت الولايات المتحدة وإسرائيل أضراراً جسيمة بمخزونات الصواريخ التقليدية الإيرانية، مما أدى إلى إضعاف قدرتها على الرد المباشر بشكل كبير. أما من الناحية الاستراتيجية، فهما تواجهان خصماً يتبع سياسة حرب الاستنزاف، وقد أدى الفشل في تحقيق نصر سريع وحاسم إلى إجهاد أسواق الطاقة العالمية، وتعطيل حركة الشحن الدولي، واستدعاء عشرات المليارات من الدولارات لتمويل عسكري طارئ، وكشف عن هشاشة الحلفاء الإقليميين.

إعادة تعريف النصر: التحول إلى السرديات

إن فهم غايات الحروب يُعدّ واحدة من أهم الأفكار التي طرأت عليها تحولات نموذجية في النظرية العسكرية الحديثة، إذ لقرون هيمنت على الاستراتيجية العسكرية فكرة كلاوزفيتز عن «المعركة الحاسمة» أو «الحسم في المعركة»، أي أن الحروب تُكسب بتدمير القوات المسلحة للعدو في مواجهة مباشرة. لكن نتيجة التغير في العقائد العسكرية، والتطور التكنولوجي، والردع والعصر النووي الذي غيّر

اختراع الأسلحة النووية جوهرياً جدوى الحرب، فضلاً عن تصاعد الدور الاستخباراتي في الحروب المعاصرة، بدأ هذا الوضع بالتغير، حيث يتحول الهدف من تحقيق نصر عسكري حاسم إلى مجرد حرمان العدو من أهدافه الاستراتيجية، والذي يُعدّ حجر الزاوية في العديد من العقائد الاستراتيجية الحديثة المتداخلة.

يُعدّ الصراع الجيوسياسي بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من جهة، وإيران من جهة أخرى، أبرز مثال عالمي على صراع حلّ فيه «الحرمان الاستراتيجي» من تحقيق النصر محل السعي التقليدي لتحقيق نصر عسكري حاسم، إذ لا تسعى الولايات المتحدة ولا إسرائيل ولا إيران إلى حرب تقليدية شاملة تنتهي بدخول القوات إلى عاصمة العدو. فالمسافات الجغرافية الشاسعة، والتكلفة الباهظة للذخائر الحديثة، وخطر الانهيار الإقليمي، تجعل «النصر الحاسم» شبه مستحيل. وبدلاً من ذلك، تنخرط الأطراف الثلاثة في حرب طويلة الأمد تهدف إلى استنزاف العدو، وإضعاف قدراته، وحرمانه من تحقيق أهدافه الاستراتيجية.

لهذا فإن هدف إيران منع الولايات المتحدة وإسرائيل من الهيمنة الإقليمية، وضمان بقاء النظام، وإبعاد التهديدات عن حدود إيران الفعلية، من خلال الأساليب غير التقليدية، فبدلاً من جيش نظامي مباشر، تمول إيران وتدرب وتجهز شبكة لامركزية من الفواعل من غير الدول (محور المقاومة، الذي يضم حزب الله وحماس والحوثيين)، لكن إيران لا تتوقع من حزب الله أو الحوثيين غزو إسرائيل أو تدمير

البحرية الأمريكية، وإنما هدفها ببساطة هو إلحاق خسائر مستمرة وغير مقبولة، من خلال محاصرة إسرائيل عبر وكلاء معادين وتهديد الممرات البحرية الحيوية، بما يُرسّخ رادعاً يحرم إسرائيل والولايات المتحدة من الأمن وحرية العمليات في المنطقة.[8]

لذا عندما يتحول هدف الصراع من تحقيق نصر عسكري حاسم إلى حرمان العدو من أهدافه، تنتقل ساحة المعركة الرئيسية من الخنادق المادية إلى الخفاء، ففي هذه (المنطقة الرمادية) للحرمان الاستراتيجي، تحل أجهزة الاستخبارات محل الكتائب العسكرية التقليدية كطرف رئيسي في القتال، إذا لم يكن بالإمكان تحمل تكاليف حرب شاملة، فلا يمكن الاعتماد على الدبابات والمشاة، فبدلاً من ذلك، يُعتمد على التجسس، والحرب السيبرانية، والتخريب الموجه، والتلاعب المعرفي، إذ لم يعد دور الاستخبارات مقتصراً على جمع المعلومات لدعم صانع القرار، بل أصبحت هي السلاح نفسه.

كما يتجلى ذلك من خلال ما يُعرف بـ «الحرب المعرفية والإنذار المبكر»، ففي النزاعات المطوّلة وغير المتكافئة، يُعدّ التأثير على عقلية العدو بنفس أهمية التأثير على قوته العسكرية، إذ تُستخدم المعلومات الاستخباراتية لشنّ «حرب معرفية»، أي التلاعب بإدراك الخصم للواقع. علاوة على ذلك، يجب أن تمنع المعلومات الاستخباراتية عنصر المفاجأة الاستراتيجية، وذلك بهدف قراءة عتبة ردع العدو بدقة (إلى

8. Considerations and Prospects in Iran's Confrontation with Israel, Situation Assessment, (Doha: The Arab Center for Research and Policy Studies, 2024), p. 3.

أي مدى يمكن استفزازه قبل أن ينهار)، وتحديد ما يسميه المنظّرون «ثغرات الملاءمة»، أي الثغرات في افتراضات الدولة حول ما يرغب العدو في فعله.[9]

إذ تكتسب الاستخبارات أهمية محورية فيما يمكن تسميته «حرب السرديات»، أي الصراع الدائر لتحديد مغزى الأحداث. وهنا تعمل الاستخبارات على مستويين: المستوى الداخلي من خلال تزويد صناع القرار بروايات متماسكة لتوجيه السياسات، والمستوى الخارجي عن طريق التأثير غير المباشر على الروايات العامة والدولية. وبالتالي يُعاد تعريف النصر ليس فقط كنتيجة مادية أو عسكرية، بل كهيمنة رواية معينة مدعومة بالمعلومات الاستخباراتية.

إذ يمكن فهم الاستخبارات على أنها بنية سردية، إذ تحوّل البيانات المجزأة وغير المؤكدة إلى قصص تفسيرية متماسكة توجه عملية صنع القرار. ومن خلال عمليات الاستدلال السردي، يبني المحللون تفسيرات معقولة للأحداث بربط الأدلة ضمن إطار منظم يتسم بالتماسك والسببية والقدرة على التنبؤ. وبهذا المعنى، لا تعكس الاستخبارات الواقع فحسب، بل تعيد بناءه بفعالية، منتجةً سرديات استراتيجية تشكل السياسات والتصورات على حد سواء. وفي سياق الصراعات المعاصرة، يصبح هذا الدور السردي محورياً في إعادة تعريف النصر، إذ غالباً ما تفوق هيمنة تفسير معين للأحداث نتائجها المادية.

9. Jon Reisher, Cognitive Warfare and the Indo-Pacific, (Arizona: Small Wars Journal, 2026), p.6.

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة أن التحولات البنيوية في طبيعة الصراعات المعاصرة، ولا سيما في سياق المواجهة الأمريكية–الإسرائيلية مع إيران، قد أفضت إلى إعادة تعريف جوهر النصر العسكري ذاته، بحيث لم يعد يُقاس بمؤشرات الحسم المادي التقليدي، بل بمدى القدرة على تحقيق الحرمان الاستراتيجي وإدارة الإدراك في المجال المعرفي. وفي هذا الإطار، يتضح أن الاستخبارات لم تعد مجرد أداة داعمة للعمليات العسكرية، وإنما تحوّلت إلى فاعل مركزي في إنتاج المعنى وصياغة السرديات التي توجه القرار السياسي والعسكري.

وتشير النتائج إلى أن الفجوة بين التوقعات الاستخباراتية المبكرة وواقع الصراع كشفت حدود النماذج التحليلية التقليدية التي تفترض قابلية الخصوم للانهيار السريع تحت تأثير الضربات الحاسمة، مقابل بروز أنماط دفاعية مرنة ولا مركزية قادرة على امتصاص الصدمات وإعادة إنتاج القدرة القتالية. كما أظهرت الدراسة أن الرهان على التفوق العسكري لم يعد كافياً لتحقيق الأهداف الاستراتيجية، في ظل قدرة الخصوم على نقل الصراع إلى مجالات غير متماثلة، بما في ذلك الفضاء الاقتصادي والسيبراني والمعرفي.

وعليه، يتبين أن مركز الثقل في هذه الصراعات قد انتقل من ميدان العمليات إلى ميدان السرد، حيث تتنافس الأطراف على فرض تفسيرها الخاص للأحداث وتكريس روايتها بوصفها الإطار المرجعي

لفهم الصراع. وفي هذا السياق، تصبح الاستخبارات أداة مزدوجة الوظيفة: فهي من جهة تنتج سرديات داخلية تُوجّه صناع القرار، ومن جهة أخرى تسهم –بشكل مباشر أو غير مباشر– في التأثير على البيئة الإدراكية الخارجية، بما يعيد تشكيل موازين القوة على نحو غير مادي.

كما تخلص الدراسة إلى أن هيمنة سردية معينة قد تعادل، بل وتتجاوز في بعض الأحيان، آثار الإنجازات العسكرية الملموسة، خاصة في النزاعات الممتدة التي يصعب فيها تحقيق نصر حاسم. غير أن هذا التحول يفرض في الوقت ذاته تحديات منهجية تتعلق بمخاطر التحيز السردي، والتماسك الزائف، وإمكانية انزلاق التحليل الاستخباراتي نحو تأكيد فرضيات مسبقة بدلاً من اختبارها نقدياً.

وبناءً على ما تقدم، يمكن القول إن إعادة تعريف النصر في الحروب المعاصرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقدرة الفاعلين على إدارة التفاعل بين القوة المادية والقوة السردية، بحيث يغدو التفوق الحقيقي هو القدرة على حرمان الخصم من تحقيق أهدافه، وفي الوقت ذاته فرض تفسير معين للواقع بوصفه الحقيقة الأكثر قبولاً. ومن ثم، فإن مستقبل الصراعات لن يُحسم فقط في ساحات القتال، بل في القدرة على إنتاج سرديات استراتيجية متماسكة، قابلة للاستمرار، وقادرة على التأثير في سلوك الخصوم والحلفاء على حد سواء.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org